بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة ـ 9 ـ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيبنا وقرّة أعيننا محمّد، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:-

فنتشرّف أيضًا بسورة العلق، قلتُ: صدر السورة من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، ما بقي من السورة يبدو من وقائعها أنّها نزلت بعد بعض التشريعات التي جاءت في الإسلام، ومنها الصلاة؛ لأنّه الآيات الخمس ما شرعت الصلاة، وبعد ذلك الروايات أنّ سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في هذه المرحلة، المرحلة الثانية كان يصلّي صلاتين، صلاة في الغداة، وصلاة في العشيّ، على وجه التطوّع، وليس الإلزام، وهناك روايات أرجو أنْ ترجعوا إليها أنّ سيّدنا جبريل عليه السلام بعد نزول الآيات الخمس، جاءه فتوضّأ، وعلّمه الوضوء، وعلّمه الصلاة ركعتين، لكن ماذا كان يقرأ فيها، وسورة الفاتحة لم تنزل بعد؟

المهم أنّ الصلاة صلة بين العبد وربّه جلّ وعلا، فنواة الصلاة، أصل الصلاة في هذه المرحلة شرّعت لا على وجه الوجوب وإنّما كوسيلة من وسائل القرب من الله جلّ في علاه، في ترقية روحانيته الشريفة عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، وأيضا توجيه مَنْ يتبعه يؤمن به إلى الوجهة الصحيحة، التي هي السير إلى الله جلّ وعلا، فالصلاة بداية الصلة بالله تبارك اسمه من حيث الجانب العملي، وبسم الله الرحمن الرحيم:-

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [سورة العلق: 1]

بداية الصلة بالله جلّ جلاله وعمّ فضله ونواله من حيث الاعتقاد والإقرار، اعتقاد في القلب، بأنّ البركة تحصل بسم الله سبحانه، ولابُدَّ للعبد أنْ يتوجّه إلى الله تعالى في هذا الاعتقاد المُعَبَّر عنه بهذه الأسماء المباركة، وبهذه الكلمات الطيّبات المباركات التي هي باسم ربّك، بسم الله الرحمن الرحيم، وغيرها من الأسماء الشريفة لله عزّ شأنه التي تعبّر عن تعلّق العبد بربّه سبحانه وتعالى؛ فلذلك نرى في هذه السورة مثلا، قوله عزّ وجلّ:-

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [سورة العلق: 9 - 10]

حتما هذه الواقعة متأخرة قليلا زمانا عن نزول الآيات الخمس الأولى إلى يوم، يومين، ثلاثة أيّام، إلى أنْ جاءه سيّدنا جبريل عليه السلام علّمه الصلاة، أو المراد بالصلاة مطلق العبادة والتحنّث الذي كان يقوم به صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في غار حراء على ملّة سيّدنا إبراهيم عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام.

هذه الأحكام تعتبر جزئية تندرج تحت الكلية، وأنا أعنى بالكلية، ما هي الكلية؟ هنا حسن الصلة بالله تبارك اسمه، تكون هذه الصفة من خلال الانطلاق إلى الأهداف ببركة بسم الله جلّت صفاته، هنا أذكّر نفسي وأذكّر حضراتكم وأذكّر الأمّة الإسلامية بضرورة العناية بقيم الألفاظ والأجساد والذوات والمعاني، فأي شيء في الإسلام له قيمة لا ينظر مثلا إلى أنّه مجرّد كلمة، فلا يجوز لك أيها الإنسان أنْ تنظر إلى بسم الله الرحمن الرحيم إلى أنّها مجرّد كلمات، وتذهب إلى إعرابها، وأصلها واشتقاقاتها، هذا في موضوع تقوية الصلة بالله جلّ شأنه عندي تعد من الشكليات، فما هو الأصل؟ ما هو الروح؟ القوّة الكامنة في هذه الألفاظ الشريفة.

هذا هو الأصل الذي ينبغي على الأمّة الإسلامية أنْ ينتبهوا إليه، فمن هنا تنطلق، مثلا لمّا صدرتْ فتوى أنّ المساجد لا تغلق، وكنت أتمنّى أنْ أتوسّع أكثر، وأوجّه خطابًا للقائمين على الحرمين الشريفين بالذات، واللهِ غلقهم للحرمين الشريفين لا أريد وصفه بوصف آخر، ولكن أقول: خطأ مائة في المائة، مليون في المائة.

هذه الدولة الكبيرة المتمكنّة لم تستطع ترتيب الطواف؟ وزيارة خير الأنام صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه الكرام، ولو بالحد الأدنى؟ كان بالإمكان إدخال ألف شخص، يعتمرون ويطوفون، على الأقل من أهل البلاد، وإلزامهم بالقواعد الصحية والشرعية، القواعد الصحية في الأصل من أين جاءت؟ جاءت من القواعد الشرعية، لكن مع الأسف النّاس ما نظروا للشريعة بالنظر الذي تستحقه، بل ينظرون إليها أنّها ديانة أو دروشة، ينظرون إلى أنّها تخلّف، إلى آخره، لا ينظرون إلى أنّ هذه شريعة أنقذ الله سبحانه بها الخليقة، هذا الحرم المحترم، الذي ما انقطع الطوائف فيه إلّا في زمن الأشرار.

كان من الممكن أنْ يكون في كلّ وقت صلاة ألف شخص، وجَعْلِ الفحص في الخارج في باب واحد من الأبواب، أنت لديك دولة ذات إمكانية، ثمّ إنّ الأوقاف التي أوْقِفَتْ للحرمين الشريفين تكفي الأمّة الإسلامية، ليس السعودية فقط، إنْ كانت تحت أيَادٍ أمينة وطاهرة، منذ أنْ وجد البيت الحرام إلى الآن، وهنالك ملوك ورؤساء وأثرياء وأتقياء يوقفون أموالهم للحرمين الشريفين، فلو جاء أحد بالذهب، ويبني به أرضية الحرم، وجدران الحرم، فلن ينفد ذلك الذهب، المفترض إذا كنّا فعلًا ملتزمين بأحكام الوقف، وتنميته والمحافظة عليه كان ممكن أنْ تُرَتَّب العمرة والزيارة ترتيبًا جميلًا يليق بسموّ الإسلام وطهارة المسلمين.

المسلم خمس مرّات يتوضأ، خمس مرّات يتمضمض، بماذا جاءت الصحة العالمية غير هذه؟ قالوا: اغسل يديك، نحن لا نغسل أيدينا فقط، الله تعالى أمرنا أن اغسلوا وجوهكم وأيديكم، وليس الكفين فقط، وإنّما إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، هذه أين؟ وتلك أين، لكن مع الأسف زهد الأمّة عن النظر إلى ما أكرمها الله جلّ شأنه به، ولا يستحقون كلمة الزهد، بل الازدراء والنقيصة والنظر الناقص للشريعة، جعلتهم يفرحون بما تقول منظمة الصحة العالمية، شريعتكم قالت أكثر من ذلك.

المهمّ كان ممكنًا لهؤلاء أنْ يحافظوا على الحدّ الأدنى من إشراقات الحرمين الشريفين، لكن هذه تحتاج إلى توفيق، وإلّا واللهِ لا يوجد أسهل منها، ترتيب وتنظيم، وهذا شرع الله تعالى، مجرّد إمام يقول كلمة، الكلّ يقف بترتيب واحد، ملايين البشر تصطف، وهذه شريعة الله جلّ جلاله وعمّ نواله، بالمناسبة هنا المفروض لا أنظر إلى المساجد إلى أنّها أبنية مجرّدة، مثل ما ينظر بعض النّاس، وبعضهم اتصلوا بي، وقالوا راجع هذه الفتوى، وبعضهم كتب إلى الموقع، أكثرها كانت قائمة على أنّ المسجد هو مجرّد بناء، وأنا بيّنتُ وجهة نظري.

فالنظر إلى المساجد كونها أبنية فحسب، خطأ فادح جدًّا، وهذا يعني أنّنا ننظر إلى بسم الله الرحمن الرحيم أنّها مجرّد كلمات، ولقلقة لسان، أستغفر الله العظيم،

وهذا معناه أنْ يُنظر إلى شهر رمضان أنّه شهر مثل بقية الشهور، لا يجوز أبدًا، وهذا يؤدّي إلى سلخ الروحانية من الدِّين، التي هي عمود الدين، التي هي روح الدين، فأنا كيف أحصّن نفسي؟ أقول:-

(أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) الإمام النسائي رحمه الله عزّ وجلّ.

إذا أنظر للكلمات على أنّها ألفاظ عربية، بماذا أحصّن نفسي إذن؟

أين القوّة التي في هذه الكلمات التي تحصّنني، وأنا أقولها بيقين جازم، وأنقلها من الشرع الشريف الذي يقول:-

(بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

أو (أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)

والذي يتحصّن بذكر الله تقدّست أسماؤه بشكل مطلق، أو بشكل خاص بالمعوّذتين إلى آخره، لا يصيبه داء، بإذن الله جلّ في علاه، برحمة الله عزّ وجلّ، ولماذا هذه الحبّة التي تأخذها دواء تؤمنون بأنّ فيها طاقاتٍ تؤدّي إلى قتل أمراض، أو تقوية المناعة، أو تؤدّي إلى تلك المنافع؟ والمساجد تقولون عنها بناء، لكن مع الأسف، المساجد أقلّ شأنا حتى من الأبنية، والدليل هنا نحن في تركيا، في المنطقة التي أسكن فيها (يَلَوَا) تذهب إلى البنك تجده مفتوحًا، ولكن بترتيب، موظّف في الباب، تجد الكلّ واقف بنظام، بين الواحد والآخر متر ونصف، عجيب موضوع يتعلّق بالدرهم والدينار تستطيع ترتيبه، والجامع لا تستطيع ترتيبه، لماذا؟ لأنّنا نظرنا إلى الدرهم والدينار بمنظار أعلى وأرقى من نظرنا إلى المساجد، وحتّى تكون فتواي أوضح عند جنابكم سادتي الكرام، لأنّ حضراتكم غالبًا ما تُسألون عنّي لمعرفتكم بي، وأنا متشرّف بخدمتكم، يسألون عن آرائي، فلابُدَّ أنْ يكون هذا واضحًا عندكم، فلا يجوز النظر إلى الأشياء على أنّها صور خيالية، لا تعبّر عن معاني حقيقية، غالية، ثمينة، وبعدها رأيتم مع الأسف مَنْ هو حامل معقّمات ويريد أنْ يعقّم حجرة سيّد السادات عليه أتمّ السلام

وأفضل الصلوات وآله وصحبه أهل الفضائل والمكرمات، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إذنْ كيف كانت الصلاة؟ وماذا يقرأ في الصلاة؟ هذه الأمور التي لا أؤكّد عليها، وإنّما على الكليّة، والكليّة هي حسن الصلة بالله جلّ جلاله وعمّ نواله من خلال الأصل الأعظم، وهو الاعتقاد، فبدون الاعتقاد لن يكون بالظاهر فرقٌ بين هذا وذاك، كلّها تأخذ القشور، وبالتالي نصل إلى الفجور نعوذ بالله تعالى، والكفر والثبور، لأنّ النّاس ينظرون إلى القبور، لا يؤمن بالروح، يقول هذا قبر، لا ينفع ولا يضرّ، فيجرّدونها من كلّ حقوقها ومعانيها، ولكنّ الشريعة قد وجهتك إلى أنْ تذهب إلى المقابر، وتقول لأهلها:-

(السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

فعلى مَنْ أسلّم؟ هل أسلّم على التراب؟ أم هناك حقائق.

فإذن الوقوف على العمق إلى نهاية السورة نأخذ منها بعض الجزئيات التي تندرج تحت الكليّات الخمس؛ لأجل أنْ نهتدي لما ينفعنا في السير إلى الله سبحانه، وثانيًا لتغيير وجهة الحياة في الزمان الذي نحيا فيه، لابُدَّ أنْ نترك بصمات في وجهة الحياة، في صيغة الحياة التي نحياها، وأملي بالله عزّ شأنه أنّه كلّ واحد منّا يكون عنده تغيير في أسرته، وفي مسجده، وفي محيطه قدر المستطاع؛ لأنّه عندنا أصل في الشريعة:-

{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ---} [سورة البقرة: 286]

فليس كلّ شخص يستطيع أنْ يغيّر، وهناك مَنْ لم يؤته الله تعالى، لكن على الأقلّ بما عنده، يحاول أنْ يغيّر، وإلا فما فائدة هذه المشورة؟ لماذا؟

{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [سورة الشورى: 38]

لماذا؟ أمرهم بالمشاورة؟ هل لضياع الوقت، أم للترف الفكري؟ هل هذا هو المقصود؟ لا، الترف في الإسلام منبوذ مهما كان، لابُدّ من التحرّك لهدف، لابُدَّ من نشاط لهدف، لا لترف.

فسيّد الخلق وحبيب الحق صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، يصلّي، وأبو جهل قال:-

(هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا) الإمام مسلم رحمه المنعم جلّ وعلا.

وفي رواية أخرى قال: رأيت فحلا لو دنوتُ منه لالتهمني، أو كما ورد.

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [سورة العلق: 9 - 10]

أنا لا أفسّر السورة الآن لكن حتى نقف على أغوار الأمور، ونرى قوله تعالى:-

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [سورة العلق: 6 - 7]

كم إنّ الطغيان يعمي الإنسان، يعمي بصيرة الإنسان، بحيث يقف على الحقائق ولا يصدق! فأنت يا أبا جهل ماذا تريد بعد؟ وأنت ترى الرسول الأعظم صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم محميّ، وأنت قادم لتؤذيه ولم تقدر، فمتى تؤمن، وأنت ترى أمام عينك ما لا يراه الناظرون؟! هو الذي رأى لا أحد غيره رأى هذا الخندق من النار، والفحل الذي يدافع عن حضرة الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، أو ملائكة وأجنحة في روايات أخرى: رأيت أجنحة تضلّله بيني وبينه، يعني قصده مثل هذه الجوارح من الطير، هل يستطيع الواحد أنْ يعارض النسر أو العُقَاب مثلا وهو متجرّد، يعني مجرد إنسان جاء هكذا؟ لا يستطيع طبعًا، فالمقصود بالطغيان نعوذ بالله عزّ وجلّ علّة عظيمة يجب على الإنسان أنْ يرى نسبة الطغيان عنده، فيقلّل هذه النسبة، يقلّل، يقلّل، فإن استطاع القضاء عليها، فهو الألمعيّ والعبقريّ والبطل الشجاع، وهو المنتصر، ربّما تبقى نسبة من الطغيان، لكن توجّه هذه النسبة الوجهة الصحيحة.

فما جاء الإسلام ليقلع الجذور الفطرية، والدواعي النفسية في الإنسان، وإنّما جاء لترتيبها وتنظيمها وتوجيهها، فمثلا الإنسان بطبعه يغضب، فما جاء الإسلام، وقال: تقلع جذور الغضب منك، وإنّما قال: لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب، لكن لا يمكن أنْ تقتلع جذور الغضب من النفس، قال: إذا غضبت

فاغضب لله عزّ وجلّ، إذن وجّهه، فكان لا يغضب لنفسه صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، ولكن يغضب إذا انتهكت حرمات الله جلّ جلاله، فإذنْ توجيهها وتنظيمها وترتيبها، نرى أيضا من خلال بركات هذه الآيات المباركات من قوله عزّ شأنه:-

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [سورة العلق: 6 - 7]

قلنا العلاج بقوله تعالى:-

{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [سورة العلق: 8]

قوله سبحانه:-

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [سورة العلق: 9 - 10]

يعطيك صورة من صور الطغيان، قد يقصد بهذا الصورة شخصًا معيّنًا، هنا يقولون: المقصود بها -وربّما هو القول الراجح والله تعالى أعلم- أبو جهل عمْر بن هشام، وأبو لهب عبد العزى عمّ النبيّ عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين:-

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [سورة المسد: 1]

وسواء كان هذا أو غيره، فعندنا قاعدة تقول:-

(العِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوْصِ السَّبَبِ)

أرأيت الذي ينهى عبدًا، بالتأكيد المقصود بالعبد هو سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، وتنكيره في هذا الموضع بينما في المواضع الأخرى نسبت العبودية لله تعالى، كما في قوله جلّ ذكره:-

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ---} [سورة الإسراء: 1]

وقوله جلّت قدرته:-

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ---} [سورة البقرة: 23]

وهذا أعظم وصف وُصِفَ به سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، العبدية.

هنا لماذا قال سبحانه:-

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى} [سورة العلق: 9 - 10]

لأنّه أراد من البداية أنْ يثبت شرف العبودية لخير البرية صلوات ربّي وسلامه عليه وآله وصحبه، ثمّ جاء بلفظ نكرة لأجل أنْ يعمّ هذا اللفظ كلّ مَنْ يقوم بهذا العمل تجاه أي عبد من عباد الله جلّ وعل، لأنّ هذا القرآن كتاب معجز، فهنا ما أتى بالنسبة حتى لا تنحصر هذه الكلمة في سيّد الخلق صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الذوق، ربّما تشملك أنت فيأتي جبّار، طاغية، شيخ عشيرة ماكر أخذته نفسه، يأتي فيؤذيك في جامعك، في بيتك، في مجلسك، أو حاكم جائر ظالم، فأنت أيضا عبد، تريد أن تصلّي بالمعنى الخاص: الصلاة المشروعة، بالمعنى العام: الصلة التي بينك وبين الله تعالى، فاللفظ يحتمل المعنيين.

وبالمعنى الدقيق الخاص: الصلاة، التي هي العبادة المشروعة المبدوءة بتكبيرة الإحرام، المختومة بالتسليمتين، فيها أركان مخصوصة، وأذكار معلومة،-- إلخ، تعريف الفقهاء رضي الله تعالى عنهم.

قوله جلّ ثناؤه:-

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى} [سورة العلق: 9 - 12].

يحتمل الوجهين، أو أكثر من وجه، إقرارا بأنّه هذا الذي يصلّي، هذا الذي يتعبّد، هو على الهدى والخير والحقّ، وممكن أرأيتَ إنْ كان هذا الذي ينهى هذا الطاغي على الهدى أو أمر بالتقوى، أين الجواب على هذا السؤال؟ محذوف مقدّر أي ستكون الحياة غير هذه الحياة، إذا كان هؤلاء الذين ينهون النّاس عن صلتهم بالله جلّ ذكره، إذا هم كانوا على الهدى، أو أمروا بالتقوى صبغة الحياة تتبدّل، وهذه تدخل عندنا في النقطة الأخيرة من النقاط الخمس بهذا المعنى، وبالمعنى الأوّل وهو فعلًا طاغٍ وينهى، وينهى الذي على الهدى، فهذا يدخل في المعوّقات، بيان لما يصيبك أيها الداعي، احتمال أنْ يأتي أحد فيمنعك من الصلاة، مثل ما منعونا من الصلاة في المساجد، هذه صورة من صور المنع، الآن نقول اجتهدوا، ونحسن الظنّ بهذه المؤسسات.

لكن تحسين الظنّ هذا، لا يليق بالقائمين على الحرمين الشريفين، إذ لابُدّ لهم أنْ يكونوا على القمّة في التمسّك بهما، وجعل هداياتهما تتسّع وتؤدّي واجبها، ولو بالحد الأدنى؛ لأنّ الله تعالى قال:-

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ} [سورة الأحزاب: 32]

فلا يكون القائمون على الحرمين الشريفين كالقائمين على دائرة في الوقف مثلا في دولة ضعيفة، فهؤلاء لا ينظر لهم مثلما ننظر لرئاسة الحرمين الشريفين، لا، لا يجوز عند سعد الله، فغير ممكن أنْ أعطيَ هكذا مهمّة عظيمة في الإسلام لشخص آخر، فالمهمات تختلف، إلّا اللهمّ إذا غفلنا عن الأصول، وهذه الغفلة تؤدي إلى قيام الساعة؛ فَعَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ:-

(بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ - أُرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) الإمام البخاري رحمه الباري سبحانه.

ونسأل الله تعالى العافية لنا ولكم ولجميع المسلمين.

قوله جلّ جلاله:-

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [سورة العلق: 9 - 13]

فهذا الذي من المفترض أنْ يكون على الهدى وعلى التقى صار مكذبا، وهذا التكذيب والتولّي من العلل والمعوّقات، فما علاجها؟! علاجها قوله عزّ شأنه:-

{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [سورة العلق: 14]

إذن: التداوي بماذا؟ بالعمل الروحي؛ لأنّ العبد لا يصل إلى الله سبحانه، ويعبده كأنّه يراه إذا لم يكن عنده مجاهدة روحانية، إذا لم يجلس ويقول: الله عزّ وجلّ شاهدي، الله جلّ وعلا ناظري، الله جلّ جلاله معي، هذا الذي يصل إلى قوله تعالى:-

{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [سورة العلق: 14]

فإذا لم تنفع الموعظة، وهي وسائل القضاء إلى المعوّقات كيف أنت تقضي على معوّق؟ أنْ يكون الإنسان طاغية، كيف أنت تقضي أو على الأقل تخفف من

لأوائها؟ هذه العلّة لمَنْ لم يكن على الهدى؟ بماذا؟ بالوسائل العلاجية، بالثقافة الروحية، في الدعوة إلى العمل الروحي، بالدعوة إلى الارتقاء بالإيمان إلى درجة الحضور مع الرحمن سبحانه، فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك، مراتب الإحسان كلّها تحتاج إلى مجاهدة ومصابرة ومرابطة قال تعالى:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 200]

إذا كانت هذه الوسائل الوعظية، هذه الوسائل الثقافية، هذه الوسائل القلبية، من توجّه السادة المرشدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، من دعوة المخلصين ودعاء الطيّبين والطيّبات، إذا لم تنفع هل نترك الشرّ يستفحل؟ لا، يأتي منطق التهديد قال عزّ وجلّ:-

{كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [سورة العلق: 15]

وهذا كلام الله جلّ جلاله وعمّ نواله يتحدّث عن العقوبة الأخروية، لكن هذا إذنٌ لولي الأمر بتشريعات ستظهر فيها عقوبات، فيها تقييد لأهل الشرّ، فيها قضاء على شرورهم، إنْ لم تنفع الموعظة معهم، فهنا نستطيع القول إنّها تحت النقطة الثانية، وهي معالم ما ندعو إليه، فالذي ندعو إليه نظام ومنهج كامل فيه إرشاد وهدايات وحقائق ومواعظ، وفيه عقوبات.

فإذنْ هنا بدأت معالم الشريعة القادمة بالظهور، لتمهيد أنّه ستكون عقوبات، بيان خصائص ما ندعو إليه من حيث الاعتقاد أنّ هنالك آخرة، وهناك عذاب وعقاب قال جلّ وعلا:-

{كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [سورة العلق: 15]

هذه عقوبة ستجرّه من أشرف ما يتباهى به في الدنيا، وهي الناصية أو (لَنَسْفَعًا) أي لنحرقنّ ناصيته قال تعالى:-

{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} [سورة القلم: 16]

هذه السور التي ستأتي بيان لإذلاله نعوذ بالله تبارك وتعالى واحتقاره وإيذاءه، وإحراقه من ثَمّ، قال عزّ وجلّ:-

{نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} [سورة العلق: 16]

الذي ليس على الهدى، ولا يأمر بالتقوى، أكيد منساق إلى النفس الأمّارة بالسوء؛ لأنّها منفذ الطاقة السلبية الخبيثة للروح الإنسانية، التي هي طاقة النّفس الأمّارة بالسوء، هذه كلّها جزئيات بسبب نشاط النّفس الأمّارة بالسوء.

فلاحظوا يا رعاكم الله تعالى في أوائل ما أنزل الله تبارك اسمه يبيّن حقيقة أنّ الغفلة عن النّفس الأمّارة بالسوء التي بوابة دخولها إلى الكيان الإنساني من الناصية، هذا أمر ينبغي أنْ ينظر إليه، ينبغي أنْ يعتني به، ينبغي أنْ نتعرّف إلى منهج الله جلّت صفاته في إصلاحه، وتقييد شرّه إلى آخره.

إذنْ هذا المنهج المختصر في الآيات الخمس التي بعدها قلنا لا نعلم هل بعد ستة أشهر نزلت؟ هل بعد سنة نزلت؟ لا توجد رواية ثابتة، وهذا لا يعني سعد الله شيئا، أنا قلتُ لكم هذه أمور اعتبرها شكلية نحن نبحث عن الحقائق، الحقائق يا سادة، الله تعالى قال:-

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [سورة العلق: 1]

حسن الصلة بالله سبحانه، الأخذ بالوسائل بالنسبة للمسار الثاني، هذه كلّها أين ستوصلك إذا أخذت بها؟ توصلك إلى القرب من الله جلّ في علاه، لأنّك إذا سجدت بمعنى استسلمت لهذا المنهج، ستقترب من الله عزّ وجلّ ببركة هذا السجود، وممكن أراد المعنيين، المعنى العام، والمعنى الخاص، المعنى العام للسجود: الاستسلام والانقياد لله تعالى، حتى لو كان هذا الاستسلام للجماد، قال تعالى:-

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [سورة الرحمن: 6]

والمعنى الخاص: الصلاة، والأخصّ السجود، وهو أن تضع جبهتك على الأرض، فصار عندنا معنى عام للسجود الذي هو الاستسلام، ومعنى خاص للسجود وهو الصلاة بكاملها من تكبيرة الإحرام إلى التسليمتين حين تقرأ (وأدبار

السجود) أي معناها أدبار الصلوات، يعني من هنا استدلّ الفقهاء رحمهم الله تعالى على جواز ذكر الله عزّ وجلّ، ورفع الصوت بالذكر بعد السجود، بمعنى بعد الصلاة، أدبار السجود، معناه أدبار الصلاة، وهذا المعنى الخاص، ومعنى أخصّ هو هذا الركن في كلّ ركعة، الذي هو ركن السجود، أنْ تسجد على سبعة أعظم.

إذنْ هذه القيمة، وهذه الثمرة ستدخل تحت النقطة الخامسة؛ لأنّ المجتمع الذي يوصف بالسجود لله تعالى، فهذا مجتمع حضاري، هذا مجتمع إسلامي، هذا مجتمع راقي، هذا مجتمع ليس فيه ظلم، مجتمع فيه تعاون، فيه إخاء، فيه محبّة، فيه مودة، هذا مجتمع تتفجر خيراته وطاقاته وبركاته، فإذن ممكن أنْ نرجع ونقول: إنّني أعتقد بأنّ من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، هو وجه ما يلي أنّه يختصر المنهج في آية، أو في مجموعة آيات، أو في سورة، فهي هذه الآيات الخمس الأولى، اختصرت منهج الإسلام، فمنهج الإسلام، أو حضارة الإسلام، حضارة روحية علمية، تعنى بصلة الإنسان بربه عزّ وجلّ وبمجتمعه، بمرحلة حياته الدنيوية أنْ يرقى بها إلى أنْ تصطبغ هذه الحياة بكونها حياة ساجدة لله ربّ العالمين سبحانه، وإذا سجدت الحياة لله تعالى، فكلّ شيء يترتب، لماذا؟ لأنّها منقادة لله جلّ في علاه القائل:-

{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [سورة فصلت: 11]

أصبحت مسخّرة لمّا أراد الله تعالى من خدمة هذا الإنسان على هذا الكوكب في المرحلة الدنيوية.

وهذا بعض ما مكنّني الله جلّ وعلا من قوله بالنسبة لهذه السورة المباركة، ومن هذه المرحلة الثانية طبعًا ببركتكم، ببركة إخلاصكم، ببركة دعواتكم، أترك ما في هذه المرحلة، الآن الحمد لله تعالى تحدّدت عندكم المرحلة قبيل الست الشهور الأولى من إعلان بعثته صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم إلى نزول أوّل رحمة من القرآن الكريم، على قلب حضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، والصور التي تجسّدت بعد نزول هذه الرحمة.

إذن: الروحانية للداعي أمر عظيم جدًّا وأساس متين، وأيُّ خللٍ في الروحانية يؤدي إلى هدم الحضارة الإسلامية.

أيضًا العناية في الجانب الثاني الحركي في الحياة، التطبيقي في الحياة، إيصال الخير للغير هذا أصل عظيم جدًّا يجسّد المعنى الحقيقي المقبول عند الله تعالى لخلافة الإنسان عن الله سبحانه، فأنت خليفة الله جلّ وعلا في الأرض، قال تعالى:-

{--- هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ---} [سورة سيّدنا هود عليه السلام: 61]

وأمرك بتعميرها، وتعميرها لا يكون إلّا بحسن الصلة بالله تعالى، والأخذ بوسائل الرقيّ، ومن أعظمها القراءة ومستلزمات العلم، فانظروا يا رعاكم الله سبحانه إلى عظيم كرم الله عزّ وجلّ الذي أكرمنا به جلّ شأنه، فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وممكن أنْ ترتع بقلبك الخاشع وفكرك الواعي في جزئيات هذه المرحلة من خلال قراءة سيرة الحبيب صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه أهل الطيب، في ظل هذه الهدايات.

سبحانك اللهمّ وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين.

وصلّى الله تعالى على سيّدنا ومولانا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.